Category Y

AL-HAYAT Research Journal

ISSN (Online): 3006-4767
ISSN (Print):: 3006-4759

Volume 2 Issue 4 (July-September 2025)

مباحث الاستعاذة والبسملة في كتاب التبيان في تفسير أم القرآن للشيخ عبد السلام الرستمي

Studies on Isti'ādhah and Basmalah in al-Tabyān fī Tafsīr Umm al-Qur'ān by Sheikh Abdul Salam al-Rustami

Naseer Ahmad al-Madani
PhD Scholar, Department of Islamic Studies, Qurtuba University, Peshawar, shaikhnaseer1122@gmail.com

Professor Dr. Mushtaq Ahmad
Dean, Faculty of Islamic Studies, Qurtuba University, Peshawar

Abstract

This paper presents selected discussions on Isti'ādhah (seeking refuge with Allah) and Basmalah (the phrase "In the Name of Allah, the Most Merciful, the Most Compassionate") from the exegetical work al-Tabyān fī Tafsīr Umm al-Qur'ān by Sheikh Abdul Salam al-Rustami (1936–2014). The study highlights the author's exegetical methodology, his reliance on transmitted reports (tafsīr bi'l-ma'thūr), and his focus on theological and juristic aspects relevant to contemporary Muslim practice. It explores the linguistic, legal, and spiritual dimensions of Isti'ādhah and Basmalah, examining scholarly differences regarding their wording, ruling, position in recitation, and deeper meanings. The paper also sheds light on al-Rustami's unique contribution to Qur'anic exegesis, particularly his emphasis on clarifying the stronger interpretations while avoiding excessive digressions. By presenting these excerpts, the research aims to underscore the continuing relevance of al-Rustami's tafsīr, encourage critical academic engagement with his works, and recommend further study and translation of his writings for broader benefit.

Keywords: Isti'ādhah, Basmalah, Qur'anic Exegesis, Tafsīr al-Tabyān, Abdul Salam al-Rustami, Islamic Studies

الملخص

يقدّم هذا البحث مقتطفات مختارة من مباحث *الاستعاذة والبسملة* في كتاب *التبيان في تفسير أمّ القرآن* للشيخ عبد السلام الرستمي (1936–2014م). ويبرز البحث منهج الشيخ التفسيري القائم على التفسير بالمأثور، مع عنايته بالمسائل العقدية والفقهية ذات الصلة بواقع المسلمين المعاصر. كما يتناول الأبعاد اللغوية والشرعية والروحية للاستعاذة والبسملة، مبينًا الخلاف بين العلماء في ألفاظها، وحكمها، وموضعها في التلاوة، ومعانيها العميقة. ويُظهر البحث إسهام الرستمي في توضيح المعاني الراجحة وابتعاده عن الإسرائيليات والتفريعات المطوّلة التي تُشغل القارئ. ومن خلال هذه المقتطفات يسعى البحث إلى بيان أهمية تفسير الرستمي، والدعوة إلى مزيد من الدراسات الأكاديمية حوله، وتشجيع ترجمته إلى اللغات الحيّة لتوسيع دائرة الاستفادة منه.

الحمد لله والصلوة والسلام على رسول الله محمد وآله وصحبه أجمعين. أمّا بعد:

إن علم كتاب الله هو من أشرف العلم، ولهذا قام العلماء بخدمة هذا العلم من عصر نزول القرآن الكريم إلى عصرنا الحاضر، واختاروا مناهج مختلفة حسب مقتضيات عصرهم ومتطلباتهم،وكان من بين هؤلاء العلماء الشيخ: عبد السلام الرسمتي صاحب التفسير المشهور بـ"أحسن الكلام" [1]، والتفسير باسم: "تفسير القرآن الكريم"، [2] ، وقد نال إعجاب العلماء بهما ، ومما تركه في مجال التفسير، تفسيره لفاتحة الكتاب باسم : "التبيان في تفسير أم القرآن"[3] الذي نحن في صدد ذكر مقتطفات منه في الاستعاذة والبسملة، وغير ذلك من جهوده وعنايته بتفسير القرآن وعلومه، و بعلوم أخرى.

ومن أهم ما تمتاز به كتبه في التفسير عنايته بالمعاني الراجحة فكانت كتبه فتحا في هذا الميدان إذ أوقف القارئ على المعنى الراجح، دون أن يقف على المشغلات الصارفات عن ذلك كالبحوث اللغوية الكثيرة، والإسرائيليات ونحوها، وليس ذلك عن قصور إذ لا يبلغ هذا المبلغ من القدرة على تسهيل المعاني، إلا من ملك من علوم الآلة، وسعة الاطلاع على كتب التفسير ما يؤهله بهذه المهمة العظيمة. وفي هذا المقال قد قمت بجمع مقتطفات في الاستعاذة والبسملة من كتابه، ولكن قبل البداية أود أن أشير إلى ترجمة الشيخ عبد السلام الرستمي مع التعريف بكتابه مختصرا.

نبذة مختصرة حول حياة الشيخ عبد السلام الرستمي، وكتابه:

CC BY

هو العالم الرباني، والمفسر الشهير الشيخ عبد السلام بن المولوي السيد عبد الرؤوف بن السيد قدرت الله بن السيد نصر الله بن السيد محمد سميع الله بن السيد محمد شاه سدهومي (المعروف بأخون بابا) الرستمي.

وُلد في شهر رمضان عام (1355) من الهجرة، الموافق عام (1936) من الميلاد، في قرية " كندر" إحدى نواحي قرية رستم.

كان الشيخ معروفا بدماثة أخلاقه، وحسن تعامله، وطيب معشره مع الناس جميعًا.

فوالده الشيخ عبدالرؤف شيخ فاضل وإمام لمسجد قريته، وبدأ الشيخ عبد السلام الرستمي تعليمه الابتدائي على يد والده الشيخ عبد الرؤوف، ثم التحق بمدرسة «فيض الإسلام» وتعلم فيها لمدة ثلاث سنوات تقريبا، ثم التحق بدار العلوم الإسلامية فتعلم فيها علم التفسير، والحديث، والنحو، والصرف، والمنطق، والفقه الحنفي.

ذهب إلى "أكوره ختك" ودرس في المدرسة المشهورة «دار العلوم الحقانية» على الشيخ عبد الرحمن الهبودي دورة الحديث، و نال الشهادة العالمية (إجازة الحديث) بامتياز.

تلقى الشيخ العلم على يد عدد من كبار علماء عصره وذلك في مختلف فنون الشريعة، ومن مشائخه: الشيخ عبد الرحمن الهبودي، و الشيخ غلام الله خان، و الشيخ محمد طاهر فنج فيري.

محنه: سجن الشيخ نتيجة ذلك عام(1991م) وقد برئ نهائيا بقرار المحكمة بعد قضاء ثمانية أشهر في السجن، وبعد خروجه، هاجر الشيخ إلى "بشاور"سنة (1992م).

تأليفاته: ألف الشيخ في حياته عشرات من الكتب العلمية باللغة العربية، والفارسية، والأردية، والبشتونية، ومن هذه الكتب: بدرة الصلاة في مستخرجات أحاديث المشكاة (باللغة العربية)، التبيان في تفسير أم القرآن (باللغة العربية) ، تحفة السجن أربعة أجزاء (باللغة البشتو) ، تفسير أحسن الكلام (تسع مجلدات) (باللغة البشتو) ، تفسير القرآن الكريم (مجلد واحد) (باللغة البشتو)، تنشيط الأذهان في أصول تفسير القرآن (باللغة العربية) ، توجيه الناظرين في مقاصد الكتاب المبين (باللغة العربية)، الدرر المنظومات في ربط السور والآيات (باللغة البشتو)، وترجم إلى (الفارسية) ، لطائف القرآن (باللغة العربية). مخمسات تفسير الفاتحة (باللغة البشتو) ،الموسوعة القرآنية المسماة بـ(الفرائد الربانية في الفوائد القرآنية)، تسع مجلدات (باللغة العربية) . وغيرها من الكتب.

تلاميذه: قضى الشيخ الرستمي معظم حياته في التدرس والتعليم فإنه يصعب حصر تلامذته الذين تخرجوا على يديه، وخاصة الذين حضروا واشتركوا في دورات التفسير على مر السنوات، إلا أني سأقتصر على أبرز من تخرج من هؤلاء التلاميذ الذين برزوا في ميادين الحياة العلمية والعملية، ومنهم: الأمير سراج الحق، الشيخ أبوسعيد ابن الشيخ -رحمه الله، الدكتور أحمد جان الأزهري، الدكتور محمد بلال، الدكتور فتح الرحمن القرشي، الدكتور معراج الإسلام وغير ذلك كثير.

وممن أثنوا عليه: الشيخ غلام الله رحمتي، و الشيخ غلام الرحمن، والشيخ أبو عمر عبد العزيز النورستاني، والشيخ أبو يمان محمد طيب الفنج فيري.

وفاته: توفي الشيخ المفسر أبو زكريا عبد السلام الرستمي بعد معاناة لمرض طويل الأمد -ولعله طهور له وسبب لرفع درجاته إن شاء الله - يوم الاثنين بتاريخ: (2014/11/17) الميلادي، الموافق: (1436/1/24) الهجري، بمدينة بشاور، عن عمر ناهز (76) عاما، مخلفا وراءه إرثا علميا، وسيرة عطرة.

الكتاب الذي نقتطف منه مباحث الاستعاذة والبسملة يسمى "التبيان في تفسير أم القرآن" وهو كتاب قيم وفريد في تفسير سورة الفاتحة، وكتبه الشيخ -رحمه الله- في ثلاثة أشهر، وانتهى من تأليفه في شهر رجب 1383 هـ [4]، وقد طبع عدة طبعات، والذي بين أيدينا هي الطبعة الرابعة عام 2015م، من الجامعة العربية بده بيره بشاور، في مائة واثنتان وتسعون صفحة، وهو في تفسير سورة الفاتحة، ولهذا الكتاب ميزات عدة :

- اهتم الشيخ فيه بالتفسير المأثور، والمسائل الاعتقادية، والمسائل الفقهية.

-كما اهتم ببعض المسائل التي تعتبر من أهم المسائل الواقعة في عصرنا الحاضر مثل: مسألة الوسيلة، والشفاعة، والنذر لغير الله، والنداء والاستعانة بغير الله.

- كثرة مصادر المؤلف، وتنوعها فقد أخذ عن كثير من السلف وغيرهم ممن سبقوه في التأليف في هذا الباب.

مقتطفات من الاستعاذة:

قسم الشيخ مقدمة كتابه إلى ستة أبواب وجعل الباب الخامس في تفسير الاستعاذة ثم قسم الباب الخامس إلى أربعة فصول:

الفصل الأول: في لفظها، وفيها أقوال:

OPEN ACCESS

عند الجمهور كلمة "أعوذ بالله من الشيطان الرجيم" أولى[5]؛ لأن لفظ "أعوذ" مستعمل في القرآن والحديث، كما في قوله تعالى: {وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ (97) وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرُونِ (98)} [6].

وكما في حديث أبي سعيد الخدري: (أَعُوذُ بِالله السَّمِيعِ العَلِيمِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ، مِنْ هَمْزِهِ وَنَفْخِهِ وَنَفْثِهِ). وقال الترمذي: هو أشهر شيءٍ في هذا الباب[7].

فعُلم أن لفظ "أعوذ" أشهر وأكثر استعمالاً في كلام الله تعالى ورسوله، ولا ينافيه قوله تعالى: {فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ}[8] الآية. لأنه أمر بالاستعاذة مطلقاً فلا تختص بلفظ "أستعيذُ".

وحُكي عن بعضهم أنه كان يقول: أستعيذ بالله من الشيطان الرجيم[9]؛ لمطابقة أمر الآية[10].

الفصل الثاني: في حكمها:

إعلم أن عند الجمهور الاستعاذة مستحبة لا يأثم تاركها، وعند عطاء بن أبي رباح، واجبة كلّما أراد القراءة في الصلاة أو خارجها؛ لأن {استعذ} أمر ظاهره الوجوب، ولمواظبة النبي صلى الله عليه وسلم عليها، ولأنها تدرأ شر الشيطان، وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب.

وعند ابن سيرين واجبة في جميع العمر مرة واحدة، فيسقط الوجوب بالتعوذ مرة واحدة[11].

الفصل الثالث: في مقامها:

وفيه خلاف، فعند الجمهور وهو المشهور أن الاستعاذة إنما تكون قبل التلاوة لدفع الوساوس عنها، ودفع الضرر قبل جلب المنفعة[12].

ومعنى قوله: {فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِالله}[13] الآية. أي إذا أردت قراءة القرآن فاستعذ قبلها، والأفعال المتضمنة لمعنى الإرادة مستعملة في كلام العرب كثيراً، كما في قوله تعالى: {إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ}[14]، أي: إذا أردتم القيام إليها.

وقال طائفة من العلماء أن الاستعاذة بعد القراءة؛ لدفع الإعجاب والكبر بعد فراغ العبادة، ولذا تُستحب الاستعاذة من النار في آخر الصلاة، كما في قوله تعالى: {وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَاماً (65)}[15] ولأن في ظاهر الآية الاستعاذة جزاءٌ مشروط بالقراءة، والشرط مقدم على الجزاء[16]. والقول الأول هو الراجح.

الفصل الرابع: في معناها، وما فيها من اللطائف:

فمن لطائفها أن الإنسان كان مشغولاً باللهو واللغو قبل التلاوة والقراءة، فلما أراد أن يشرع في تلاوة كلام الله تعالى الذي هو في غاية الطهارة فلا بد لتلاوته من تطهير الفم من آثار اللهو وإن لم يكن مشتغلاً قبل القراءة باللغو، فالاستعاذة إذاً تطييب وإن لم تكن تطهيراً[17].

ومنها: أن العدو الظاهري البشري يقاومه الإنسان بالمصانعة، والإحسان، وغيرها من الأسباب الظاهرية، لكن العدو الباطني لا يدفعه الانسان بالملاطفة والمداراة، ولا يمنعه بالآلات الظاهرية، فلم يبق لدفعه إلا الاعتراف بالعجز، والاستعانة بالرب العزيز القهار[18].

ومنها: أن القرآن شفاءٌ لما في الصدور من الوساوس، والشهوات الشيطانية، فأمر تعالى أن يطرد مادة الداء ويخلي منها القلب؛ ليصادف الدواء محلاً خالياً فيؤثر فيه ويتمكن[19].

ومنها: أن القرآن مادة الهدى والعلم في القلب، كما أن الماء مادة النبات، والشيطان يحرق هذه المادة كالنار المحرقة للنبات، فكلما أحس بنبات الخير من القلب سعى في إفساده، فأُمر أن يستعيذ بالله تعالى لئلا يفسد عليه ما يحصل له من القرآن[20].

ومنها: أن الملائكة تستمع لقارئ القرآن، كما ثبت في الحديث[21]، والشيطان ضد الملائكة، والضدان لا يجتمعان، فأمر الله تعالى القارئ بإبعاد العدو ليقرب منه الملائكة[22].

ومنها: أن الاستعاذة قبل القراءة إعلام بأن المأتي به بعدها هو القرآن، ولهذا لم تشرع الاستعاذة بين يدي كلام غيره، فإذا سمع السامع الاستعاذة استعد لاستماع كلام الله تعالى، ثم شُرع ذلك للقارئ وإن كان وحده لما ذكرنا من الحِكم وغيرها[23].

وأما معناها اللغوي فهي كما قال جميع أهل اللغة:

طلب الالتجاء والاعتصام[24].

والشرعي: هي الالتجاء إلى الله تعالى والالتصاق بجنابه تعالى من شر كل ذي شر، فمعنى أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: أي استجير بجناب الله تعالى من أن يضرني الشيطان في ديني، أو دنياي، أو يصدني عن فعل المأمور به، أو يحثني على فعل المنهي عنه[25].

CC BY

التفريع: أقول: إن الله تعالى أمر بأوامر التوحيد، وأفعاله في كل موضع، وسورة، لينكشف الغطاء، ويجتنب كل أحد عن الشرك ومضاره، ويتشبث بأذيال التوحيد.

فمنها: أنه تعالى أمر بالاستعاذة به تعالى لا بغيره في مواضع من كتابه، منها قوله تعالى في الأعراف: { وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (200)} [26]،ومنها المعوذتين[27].

فعُلم من هذه الآيات أن وقت الشدائد والمصائب، ونزغات الشيطان، ونفثات السحرة، وشر الحاسدين لا بد من الاستجارة إلى جناب الله تعالى، لا إلى جناب الأولياء العظام، والأنبياء الكرام كما يفعله أكثر جهلة هذا الزمان إذا نابتهم نائبة، أو ابتلوا بمرض وشدة يعوذون برجال من الإنس الذين يتوقعون لهم القربى عند الله تعالى.

فمن استجار ولجأ في شدة وحادثة بغيره تعالى وإن كان المستجار نبياً، أو ولياً، أو ملكاً مقرباً، أو صالحاً من عباده، أو طالحاً، أو جنياً فوق الأسباب الظاهرية فقد افترى إثما مبيناً، وأشرك بالله شركاً عظيماً".

مقتطفات في تفسير البسملة:

وذكر الشيخ في الباب السادس تفسير "بسم الله الرحمن الرحيم"

وفيه خمسة فصول:

الفصل الأول: في فضائلها:

وفي فضائلها أحاديث كثيرة:

فمنها: أن عثمان بن عفان سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن بسم الله الرحمن الرحيم فقال: (هُوَ اسْمٌ مِنْ أَسْمَاءِ اللَّهِ وَمَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ اسْمِ اللَّهِ الأَكْبَرِ إِلا كَمَا بَيْنَ سَوَادِ الْعَيْنَيْنِ، وَبَيَاضِهِمَا مِنَ القرب) [28].

ومنها: عن ابن مسعود قال: "من أراد أن ينجيه الله من الزبانية التسعة عشر فليقرأ: (بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، لِيَجْعَلَ اللَّهُ لَهُ مِنْ كُلِّ حَرْفٍ مِنْهَا جُنَّةً مِنْ كُلِّ وَاحِدٍ) [29].

فهذا يدل على أن التسمية عوذة وجنة لدفع عذاب جهنم لمن اعتقد بها.

ومنها: ما روي: (كُلُّ أَمْرٍ ذِي بَالٍ[30] لَا يُبْدَأُ فِيهِ بِبِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ فَهُوَ أَقْطَعُ). [31].

فهذا الحديث يدل على أن في الابتداء بالتسمية تنزل البركات في الأمر المبتدأ فيه بها، وبتركها يصير الأمر غير مبارك؛ ولذا يصدر المصنفون والمؤلفون المسلمون كلهم كتبهم بالتسمية.

الفصل الثاني: في جزئيتها:

اتفق العلماء على أنها بعض آية من سورة النمل، ثم اختلفوا هل هي آية مستقلة في أول كل سورة أو بعض آية من كل سورة، أو أنها كذلك في الفاتحة دون غيرها، أو أنها كُتبت للفصل وليست بآية، ففيها تسعة أقوال[32]:

أولها: أنها آية من الفاتحة ومن كل سورة، وهو المشهور من مذهب الشافعي، وقول الثوري، وابن المبارك،[33].

وثانيها: أنها ليست بآية مطلقاً، وهو مختار مالك-رحمه الله-[34].

وثالثها: أنها آية من الفاتحة فقط، وهو مختار بعض الشافعية[35].

ورابعها: أنها آية فذة من القرآن، لكن ليست من الفاتحة ولا من غيرها، وهو

مختار متأخري الحنفية، وقراء المدينة، والبصرة، وهو الأصح عندهم[36].

وخامسها: أنها بعض آية من كل سورة.

وسادسها: أنها آية من الفاتحة وجزء آية من غيرها.

وسابعها: عكسه.

وثامنها: أنها بعض آية من الفاتحة فقط.

وتاسعها: أنه يجوز جعلها آية من السور، وجعلها خارجة عنها، بناءً على أنها نزلت مرة ولم تنزل أخرى، وهو الذي ارتضاه السيوطي في حواشي تفسير البيضاوي، [37]، [38].

ثم بعد ذلك تتفرع مسألة الجهر والإسرار، فاختُلف فيها على ثلاثة أقوال:

الأول: قول الشافعي -رحمه الله-: إنه يجهر بها قبل القراءة في الصلاة الجهرية، وهذا يتفرع على كونها آية أو بعض آية من الفاتحة، وهذا مذهب طوائف من الصحابة والتابعين، [39].

والقول الثاني: أنه يسر بها في الصلاة كلها، وهذا مذهب أبي حنيفة وأصحابه، وأحمد بن حنبل،وطوائف من التابعين[40].

والقول الثالث: أنه لا يقرأ البسملة بالكلية لا جهراً ولا سراً، وهذا قول الامام مالك رحمه الله[41].

فهذا اختلاف أقوالهم في هذه المسألة، لكنها قريبة؛ لأنهم أجمعوا على صحة صلاة من جهر بالتسمية، ومن أسر، ومن تركها[42].

الفصل الثالث: في بيان متعلق باءها:

اختُلف في متعلقها وبيان معنى الباء، فعند البعض متعلقٌ بالاسم، أي: ابتدائي، وقراءتي، وتبركي، واستعانتي، بدليل قوله تعالى: {بِاسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَحِيمٌ (41)} [43]؛ لأنها تعلقت في هذه الآية بالاسم الذي بعدها.

وعند البعض متعلقها الفعل، ثم اختُلف فيه، فعند البعض يُقدَّر أمر، أي: بسم الله استعن، أو إقرأ، أو قل وغيرها، بدليل قوله تعالى: {اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (1)} الآية[44]، ففي هذه الآية تعلقت بالأمر الذي قبلها.

وعند البعض يُقدَّر فعل مضارع، ثم اخُتلف فيه، فعند البعض يقدر أبدأ، أو ابتدأ في كل موقع، وكل فعل وعمل، سواءٌ شرع في القراءة، أو الأكل والشرب، أو غيرها.

وعند البعض يقدر كل فعل ما يجعل التسمية مبدأً له، إن كان أكلاً فآكل، وإن كان قياماً فأقوم، وإن كان شرباً فأشرب، وهذا القول أولى بالأخذ، وهو قول الجمهور[45].

وكذا اختُلف في معنى الباء، فعند البعض للاستعانة كما صرح به السيوطي في "الإتقان"[46]، فالمعنى: "باسم الله الرحمن الرحيم استعينوا في كل الأحوال، والشدائد، والنوائب لا بمن سواه وإن كان من المقربين، فإن هذا شرك في الدعاء، والاستعانة".

وعند البعض للمصاحبة كما قال القاضي البيضاوي،فالمعنى: "متبركاً باسم الله الرحمن الرحيم أقرأ"[47].

الفصل الرابع: في كون التسمية خلاصة الفاتحة، ودخولها في باءها:

اعلم أن خلاصة جميع القرآن هي الحواميم السبعة[48]، بدليل ما روى عن ابن عباس رضي الله عنه: "لكل شيءٍ لباب ولبابُ القرآن حواميم"[49].

وموضوع الحواميم السبعة في سورة مؤمن قوله تعالى: {فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ } [50]، وقوله: {وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ} [51]، وقوله: {هُوَ الْحَيُّ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ} [52]، أي: الدعاء والاستعانة هو حق الله تعالى لا يجوز لمن دونه إذا كان فوق الأسباب الظاهرية، وهذه الدعوى داخلة في الفاتحة في قوله: {وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ}، فخلاصة جميع القرآن أنه لا بد في الأمور كلها من الاستعانة بالله تعالى لا بغيره[53]، فالباء في "بسم" للاستعانة، كما في تفسير الماجدي، [54]، وكما قال السيوطي في الإتقان[55].

وقال في "منهاج التأسيس في الرد على ابن جرجيس": أرجح الأقوال أن الباء في "بسم الله" للاستعانة، وفي تقديمه حصر الأفراد لا حصر قلب، أي افراده تعالى بالاستعانة عما عُبد معه من الآلهة الباطلة[56].

فجميع القرآن داخل في باء البسملة، فمعناه: بسم الله استعينوا لا بما أشرك به المشركون في زعمهم.

الفصل الخامس: في لطائفها:

اعلم أن لطائف كلام الله تعالى، ولطائف كلمات من كلامه لا منتهى لها، بل كل من غاص في هذا البحر العميق لا يرجع إلا تعبان، ولا يبلغ إلى ثراه ، ولكن أذكر بعضاً منها ليكون منبهاً لمن غفل عنها.

فاعلم أن حروف البسملة تسعة عشر، وعدد الزبانية أيضاً كذلك، كما قال تعالى في سورة المدثر: {عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ}[57]، فبذكر هذه التسمية معتقداً بما فيها يُحفظ من عذابهم سواءً بسواءٍ[58].

وأيضاً: ساعات الليل والنهار أربعة وعشرون، وعدد حروف التسمية تسعة عشر، وفرض الله تعالى في اليوم والليلة خمس صلوات، فكان بإزاء خمس ساعات خمس صلوات، وبقيت تسع ساعات فبإزائها تكون التسمية؛ ليكون الإنسان في جميع أوقاته مشغولاً بذكر الله تعالى، كذا في التفسير العزيزي[59].

وأيضاً: التسمية ختم الله تعالى، فكما أن المِلك الدنيوي إذا اشترى لنفسه مالاً يختمه بختم؛ لئلا يطول السراق وقطاع الطريق إليه أيديهم لشدة الخوف، فكذا لا بد في ابتداء كل أمر من الأكل، والشرب، والقراءة، والجماع، وغير ذلك من هذا الختم؛ ليُحفظ من شر الشيطان الرجيم[60].

فلذا أمر النبي صلى الله عليه وسلم بالابتداء بها في مواضع.

منها: ما روى الإمام أحمد بن حنبل -رحمه الله- في مسنده عَنْ رَدِيفِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: "عَثَرَ بِالنَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِمَارُهُ، فَقُلْتُ: تَعِسَ الشَّيْطَانُ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " لَا تَقُلْ: تَعِسَ الشَّيْطَانُ، فَإِنَّكَ إِذَا قُلْتَ: تَعِسَ الشَّيْطَانُ، تَعَاظَمَ، وَقَالَ: بِقُوَّتِي صَرَعْتُهُ، وَإِذَا قُلْتَ: بِسْمِ اللهِ، تَصَاغَرَ حَتَّى يَصِيرَ مِثْلَ الذُّبَابِ"[61].

فدل هذا الحديث أن ببركة بسم الله يتصاغر الشيطان لا بغيرها من الألفاظ.

ومنها: ما روى مسلم في صحيحه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لربيبه عمر بن أبي سلمة:«يَا غُلَامُ، سَمِّ اللهَ، وَكُلْ بِيَمِينِكَ، وَكُلْ مِمَّا يَلِيكَ»[62].

فدل هذا الحديث على أنه لا بد في ابتداء الأكل من البسملة، فقال بعضهم: تُستحب، وقال بعضهم: تجب[63].

ومنها: عن ابن عباس رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (لَوْ أَنَّ أَحَدَهُمْ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَأْتِيَ أَهْلَهُ، قَالَ: بِاسْمِ اللهِ، اللهُمَّ جَنِّبْنَا الشَّيْطَانَ، وَجَنِّبِ الشَّيْطَانَ مَا رَزَقْتَنَا، فَإِنَّهُ إِنْ يُقَدَّرْ بَيْنَهُمَا وَلَدٌ فِي ذَلِكَ، لَمْ يَضُرَّهُ شَيْطَانٌ أَبَدًا) [64].

فدل الحديث أن ببركة بسم الله يُحفظ الأولاد من شر الشيطان وأخلاقه، وإذا بلغ فلا يعق والديه، ولا يضرهما، ولا يسبهما، ومن لم يبدأ بها في هذه الحالة فيرى في الولد آثار الشيطان؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم معصوم عن الكذب أبداً.

وأيضاً أمر الله تعالى نبيه نوحاً عليه السلام: {وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا بِاسْمِ اللهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا} [65]، فلما نجا نوح عليه السلام ومن معه في الفلك عن الغرق ببركة نصف هذه البسملة فما ظنك بمن يبتدأ بها في كل أمر؟![66].

الخاتمة:

وفيها الخلاصة والنتائج التي توصلت إليها:

- الرستمي: هو العالم الرباني، والمفسر الشهير معالي الشيخ عبد السلام بن المولوي السيد عبد الرؤوف بن السيد قدرت الله بن السيد نصر الله بن السيد محمد سميع الله بن السيد محمد شاه سدهومي (المعروف بأخون بابا) الرستمي.
- وُلد في شهر رمضان عام (1355) من الهجرة، الموافق عام (1936) من الميلاد، في قرية " كندر" إحدى نواحي قرية رستم.
- كان الشيخ معروفا بدماثة أخلاقه، وحسن تعامله، وطيب معشره مع الناس جميعًا.
- توفي الشيخ المفسر أبو زكريا عبد السلام الرستمي بعد معاناة لمرض طويل الأمد -ولعله طهور له وسبب لرفع درجاته إن شاء الله - يوم الاثنين بتاريخ: (17/ 11 / 2014) الميلادي، الموافق: (1/24/ 1436) الهجري، بمدينة بشاور، عن عمر ناهز (76) عاما، مخلفا وراءه إرثا علميا، وسيرة عطرة.
- الكتاب الذي بين يدينا يسمى بـ "التبيان في تفسير أم القرآن" وهو كتاب قيم وفريد في تفسير سورة الفاتحة، وكتبه الشيخ -رحمه الله- في ثلاثة أشهر، وانتهى من تأليفه في شهر رجب 1383 هـ ، وقد طبع عدة طبعات، والذي بين أيدينا هي الطبعة الرابعة عام 2015م، من الجامعة العربية بده بيره بشاور، في مائة واثنتان وتسعون صفحة، وهو في تفسير سورة الفاتحة، ولهذا الكتاب ميزات عدة .
- عند الجمهور كلمة "أعوذ بالله من الشيطان الرجيم" أولى؛ لأن لفظ "أعوذ" مستعمل في القرآن والحديث.
- إعلم أن عند الجمهور الاستعاذة مستحبة لا يأثم تاركها، وعند عطاء بن أبي رباح واجبة كلّما أراد القراءة في الصلاة أو خارجها.

CC BY

- و في مقام الاستعاذة خلاف، فعند الجمهور وهو المشهور أن الاستعاذة إنما تكون قبل التلاوة ، وأكثر أصحاب الظواهرأن الاستعاذة بعد القراءة.
- و من لطائف الاستعاذة : أن الإنسان كان مشغولاً باللهو واللغو قبل التلاوة والقراءة، فلما أراد أن يشرع في تلاوة كلام الله تعالى الذي هو في غاية الطهارة فلا بد لتلاوته من تطهير الفم من آثار اللهو وإن لم يكن مشتغلاً قبل القراءة باللغو، فالاستعاذة إذاً تطييب وإن لم تكن تطهيراً. وغير ذلك من اللطائف.
- معنى الاستعاذة: هي الالتجاء إلى الله تعالى والالتصاق بجنابه تعالى من شر كل ذي شر.
- وفي فضل التسمية وردت روايات كثيرة.
- الابتداء بالتسمية تنزل البركات في الأمر المبتدأ فيه بها كما في الحديث، وبتركها يصير الأمر غير مبارك؛ ولذا يصدر المصنفون والمؤلفون المسلمون كلهم كتبهم بالتسمية.
- اتفق العلماء على أن التسمية بعض آية من سورة النمل، ثم اختلفوا هل هي آية مستقلة في أول كل سورة أو بعض آية من كل سورة، أو أنها كذلك في الفاتحة دون غيرها، أو أنها كُتبت للفصل وليست بآية، ففيها تسعة أقوال.
- الجهر والإسرار بالتسمية ، اختُلف فيها على ثلاثة أقوال.
- اختلف العلماء في متعلق باء التسمية وبيان معنى الباء.
- من لطائف البسملة: أن حروف البسملة تسعة عشر، وعدد الزبانية أيضاً كذلك، كما قال تعالى في سورة المدثر: {عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ} ، فبذكر هذه التسمية معتقداً بما فيها يُحفظ من عذابهم سواءً بسواءٍ.

التوصيات:

ومن خلال هذا البحث ونتائجه، توصّلت إلى عدد من التوصيات التي أراها جديرة بالاهتمام، وتسهم في تعميق الفهم لهذا العمل العلمي وتطوير الاستفادة منه.

- تحقيق الجزء الباقي من الكتاب تحقيقًا علميًا محكّمًا.
- يُوصى بإعداد نسخة علمية محققة للكتاب، تتضمن تخريج الآيات والأحاديث، والتعليق على المواضع المشكلة، مع الإشارة إلى اختلاف النسخ إن وُجدت، وتوثيق المادة من مصادرها الأصلية.
- إجراء دراسات أكاديمية حول منهج الشيخ الرستمي في المجالات المختلفة. ويستحق أن يُبرز من خلال أطروحات جامعية أو دراسات مقارنة.
- ترجمة الكتاب إلى اللغات الحيّة.

وبخاصة الأوردية، والإنجليزية، والفارسية، لتوسيع دائرة الاستفادة منه خارج الدوائر العربية، خاصة في باكستان وأفغانستان حيث كان الشيخ يعمل.

- تحقيق الكتب الأخرى للشيخ الرستمي، ونشرها، للاستفادة من جهوده العلمية في التفسير ، والعلوم الشرعية.
- تشجيع الباحثين على العناية بتفاسير العلماء المحليين والمغمورين، الذين قد يكون لهم إضافات قيمة في حقل التفسير.
- نظرًا لأهمية كتاب "التبيان في تفسير أم القرآن"، يُوصى بطباعته طبعة علمية معتمدة، تحتوي على تخريج الآيات والأحاديث، والتعليق على المواطن المشكلة، وربطها بمصادر التفسير الأخرى.

هذا ما تيسر لي في ذكر التوصيات، والله أعلم.

الهوامش:

(1) وهو مطبوع باللغة البشتونية في تسعة أجزاء، من مكتبة الفريدية، بشاور، (الطبعة الأولى، 2014م).

(2) وهو مطبوعٌ باللغة البشتونية في مجلد واحد ضخم، ويبلغ عدد صفحاته إلى (1666) صفحة، طبعه دار السلام ، لاهور، (الطبعة الأولى، 1423هـ) .

(3) وهو مطبوع باللغة العربية في مجلد واحد من دار العلوم تعليم القرآن، رستم، مردان. (الطبعة الأولى:1405هـ 1985 م).

(4) ينظر: التبيان في تفسير أم القرآن، ص 188. (آخر الكتاب).

(5) ابن عطية الأندلسي، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، في المقدمة.

(6) القرآن الكريم، المؤمنون، 23: 97-98.

(7) أخرجه أبوداؤد في سننه ، كتاب الصلوة، باب من رأى الاستفتاح... رقم: 775؛ و الترمذي، جامع الترمذي، أبواب الصلوة، باب ما يقول عند افتتاح الصلوة، رقم: 242. وصححه الشيخ الألباني، ينظر تعليق المحقق على الكتاب المذكور.

(8) القرآن الكريم، الأعراف، 7: 200.

(9) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، في تفسير الاستعاذة.

(10) إشارة إلى قوله تعالى: {وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ ... (200)} [الأعراف: 200].

(11) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، في تفسير الاستعاذة، (113/1).

(12) ينظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، في تفسير الاستعاذة.

(13) القرآن الكريم، النحل، 16: 98.

(14) القرآن الكريم، المائدة، 5: 6.

(15) القرآن الكريم، الفرقان، 25: 65.

(16) ينظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، في تفسير الاستعاذة.

وهناك قول ثالث، وهو الاستعاذة أولا وآخرا، ذكره ابن كثير -رحمه الله-.

(17) ينظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، في تفسير الاستعاذة.

(18) ينظر: المصدر السابق، في تفسير الاستعاذة.

(19) ينظر: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين، ابن قيم الجوزية، (ت: 751ه)، إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان، المحقق: محمد حامد الفقي، (الرياض، المملكة العربية السعودية: مكتبة المعارف، د: ت.)، 1: 91.

(20) ينظر: المصدر السابق، 1: 91.

(21) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب فضائل القرآن، باب نزول السكينة والملائكة عند قراءة القرآن، رقم: 5018؛ و مسلم في صحيحه، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب نزول السكينة لقراءة القرآن، رقم: 796.

(22) ينظر: ابن قيم ، إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان، 1: 91.

(23) ينظر: المصدر السابق، 1: 91.

(24) ينظر: محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور، (ت: 370ه)، تهذيب اللغة، المحقق: محمد عوض مرعب، الطبعة الأولى. (بيروت: دار إحياء التراث العربي،2001م)، تحت: "عوذ".

(25) ينظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، في تفسير الاستعاذة.

(26) القرآن الكريم، الأعراف، 7: 199، 200.

(27) المراد منهما سورتي: الفلق، والناس.

(28) ينظر: ابن أبي حاتم، تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم، رقم: 15301، تحت آية (59) من سورة الفرقان.

(29) ابن عطية الأندلسي، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، في تفسير البسلمة. (باختلاف يسير)؛ و ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، في تفسير البسملة.

(30) ذي بال: المراد بذي البال ذو الشأن في الحال، أو المآل.

ينظر: الملا الهروي القاري، مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، 1: 3.

(31) ينظر: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، (ت: 911ه)، صحيح وضعيف الجامع الصغير وزيادته، مع أحكام: محمد ناصر الدين الألباني، (الكتاب مرقم آليا، فهو - بهذا الترتيب - إلكتروني فقط، لا يوجد مطبوعا)، رقم: 9701. وضعفه الشيخ الألباني -رحمه الله-

(32) انظر تفصيل المسألة بأدلتها عند: سيف الدين أبو بكر محمد بن أحمد الشاشي القفال، حلية العلماء في معرفة مذاهب الفقهاء، حققه: الدكتور ياسين أحمد إبراهيم درادكه، الطبعة الأولى. (المملكة الأردنية الهاشمية، عمان: مكتبة الرسالة الحديثة، 1988 م)، 2: 102.

(33) أبو الحسين يحيى بن أبي الخير بن سالم العمراني اليمني، الشافعي، (ت: 558ه)، البيان في مذهب الإمام الشافعي، المحقق: قاسم محمد النوري، الطبعة: الأولى. (جدة: دار المنهاج، 1421 هـ- 2000 م)، 2:182 ؛ و ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، في بداية الفاتحة عند تفسير البسملة.

(34) القاضي عبد الوهاب البغدادي، (ت: 422 ه)، المعونة على مذهب عالم المدينة «الإمام مالك بن أنس»، تحقيق ودراسة: حميش عبد الحق (أصل الكتاب: رسالة دكتوراة بجامعة أم القرى بمكة المكرمة)، (مكة المكرمة: المكتبة التجارية، مصطفى أحمد الباز)، 1: 217؛ و ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، في بداية الفاتحة عند تفسير البسملة.

(35) أبو الحسين الشافعي،البيان في مذهب الإمام الشافعي 2: 217 ؛ و ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، في بداية الفاتحة عند تفسير البسملة.

(36) محمد بن أحمد بن أبي سهل شمس الأئمة السرخسي، (ت: 483 ه)، المبسوط، (بيروت: دار المعرفة)، 1: 15؛ و ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، في بداية الفاتحة عند تفسير البسملة.

(37) ينظر: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، (ت: 911ه)، نواهد الأبكار وشوارد الأفكار = حاشية السيوطي على تفسير البيضاوي، (المملكة العربية السعودية: جامعة أم القرى - كلية الدعوة وأصول الدين، (رسائل دكتوراة)، 1424 هـ - 2005 م) في بداية سورة الفاتحة في تفسير البسملة.

(38) ينظر هذه الأقوال عند: الألوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، في بداية سورة الفاتحة عند تفسير البسملة. و ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، في بداية سورة الفاتحة، في تفسير "بسم الله". وبنفس هذا الأسلوب عند: عبد الحي بن عبد الحليم اللكنوي، عمدة الرعاية على شرح الوقاية، الطبعة الأولى. (بيروت: دار الكتب العلمية، 2009)، 2: 86-87.

(39) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، في بداية الفاتحة عند تفسير البسملة.

وانظر قول الشافعي عند: أبي اسحاق إبراهيم بن علي بن يوسف الشيرازي، (ت: 476ه)، المهذب في فقة الإمام الشافعي، (بيروت: دار الكتب العلمية)، 1: 138.

(40) ينظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، في بداية الفاتحة عند تفسير البسملة.

(41) ينظر: محمد بن أحمد بن عرفة الدسوقي المالكي، (ت: 1230ه)، حاشية الدسوقي على الشرح الكبير، (بيروت: دار الفكر)، 1: 251.

(42) قال ابن كثير: "فهذه مآخذ الأئمة، رحمهم الله، في هذه المسألة وهي قريبة؛ لأنهم أجمعوا على صحة صلاة من جهر بالبسملة ومن أسر، ولله الحمد والمنة".

ينظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، في بداية الفاتحة عند تفسير البسملة.

و لشيخ الإسلام ابن تيمية كلام متين في هذه المسألة راجعه في: الفتاوى (22: 410-437).

OPEN ACCESS

وانظر المسألة بالتفصيل عند: الدكتور سليمان بن إبراهيم اللاحم، اللباب في تفسير الاستعاذة والبسملة و فاتحة الكتاب، الطبعة الأولى. (الرياض: دار مسلم، 1420هـ-1999م)، ص 137-160.

(43) القرآن الكريم، هود، 11: 41.

(44) القرآن الكريم، العلق، 96: 1.

(45) ينظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، في بداية الفاتحة عند تفسير البسملة. و الرازي، مفاتيح الغيب = التفسير الكبير، في مقدمة تفسيره عند تفسير البسملة.

(46) ينظر:السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، 2: 215.

(47) البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، في بداية الفاتحة عند تفسير البسملة.

(48) وهي: غافر (المؤمن) والسجدة (فصلت) والشورى، والزخرف، والدخان، والجاثية، والأحقاف.

ينظر: عبد الكريم يونس الخطيب (ت: بعد 1390هـ)، التفسير القرآني للقرآن،(القاهرة: دار الفكر العربي)، تحت آية (87) من سورة الحجر.

(49) البغوي، معالم التنزيل في تفسير القرآن، تحت آية (7) من الغافر.

(50) القرآن الكريم، غافر، 40: 14.

(51) القرآن الكريم، غافر، 40: 60.

(52) القرآن الكريم، غافر، 40: 65.

(53) شيخ القرآن، محمد طاهر، سمط الدرر في ربط الآيات والسور، (بشاور: اشاعت اكيدمي، 1433هـ)، ص22.

(54) عبد الماجد دريابادي، تفسير ماجدي، (لاهور: باك كمبني)، ص 3.

(55) السيوطي، الإتقان في علوم القرآن،2: 216.

(56) آل الشيخ، منهاج التأسيس والتقديس في كشف شبهات داود بن جرجيس، ص 108.

(57) القرآن الكريم، المدثر، 74: 30.

(58) الرازي، مفاتيح الغيب = التفسير الكبير، تحت أسماء الفاتحة وسببها؛ و الشربيني، السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير، في بداية سورة الفاتحة.

(59) ينظر: الدهلوي، تفسير فتح العزيز (تفسير عزيزي)، في لطائف سورة الفاتحة.

(60) ينظر: المصدر السابق، في لطائف سورة الفاتحة.

(61) أحمد بن حنبل، المسند ، رقم الحديث: 20591.

وقال محققه شعيب الأرناووط: حديث صحيح.

(62) مسلم، الجامع الصحيح، كتاب الأشربة، باب آداب الطعام والشراب وأحكامهما، رقم: 2022.

(63) والأمر بالتسمية عند الأكل محمول على الندب عند الجمهور، وحمله بعضهم على الوجوب لظاهر الأمر.

ينظر: العيني، عمدة القاري شرح صحيح البخاري، 21: 28.

(64) البخاري، الجامع الصحيح، كتاب الوضوء، باب التسمية على كل حال، رقم: 141؛ و مسلم، الجامع الصحيح، كتاب النكاح، باب ما يستحب أن يقوله عند الجماع، رقم : 1434.

(65) القرآن الكريم، هود،11: 41.

(66) أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط في التفسير، ت: صدقي محمد جميل، تحت آية (41) من سورة هود.

CC BY